انطلوجيا الحرمان في الفن الروائي العراقي و الايراني -دراسة مقارنة-

د. محمد مهدي ياسين الخفاجي،
جامعة ذي قار، العراق

الملخص

من خلال تناولنا للرواية العراقية والإيرانية تبين لنا ان الحرمان في الرواية قد ارتبط بالمرأة العراقية ارتباطاً وثيقاً من خلال واقعها الذي عاشته، فالحروب العبثية المتعاقبة المتوالية قد ألقت بظلالها على مجتمعها، وباتت رحى الحروب تطحن كل عزيز عليها لكونها الأم والأخت والزوجة والبنت فبالتأكيد ستكون المتأثر الأول بمثل هكذا أوضاع استثنائية، ولا بد من الإشارة إلى ان ما يخلفه الحرمان من مشاعر حزن وألم ووجع لدي المرأة هو واحد، ولا يمكن ان نحصره بهوية عراقية او إيرانية أو جنسية بحد ذاتها،على الرغم من الارتباط الوثيق بالمرأة العراقية من حيث الكم ، لكن المرأة الايرانية هي الأخرى كان لها حظاً وافرا فيه، فالمشاعر الإنسانية الوجدانية تفوق كل حدود، والألم هو سمة جامعة للحرمان ، ومما يجدر الإشارة إليه ايضا ان المجتمعات المحافظة لها مراسيمها الخاصة يتمثل من خلالها الحرمان، ويتأطير بعادات وتقاليد محددة عرفاً من الأقدمين ولا يمكن الخروج عنه البتة . و لا بد من الإشارة إلى ان واقع الحرمان يعكس على الفرد معاناة بغض النظر ان كان امرأة او رجلا الا اننا ارتأينا ان ننتقي واقع المرأة كونها الأكثر احساسا وعاطفة وتأثيرا وتأثرا ، فالحرمان قاتل للموهبة وساحق للشخصية ومُلغي للوجود ومُقصي للكينونة يجعل منها نكرةً لا وجود لها , ان موقع المرأة على خارطة الوجود الإنساني بأبعاده الإنسانية والاجتماعية والتكوينية الجسدية والأعراف المحيطة بها, والموروث التاريخي الذي تحمله, يوجه نظرها في اتجاه خاص, ويجعل مساحتها الإبداعية موزعة تجاه محاور جديدة بالتعبير عنها, ومناقشة تفصيلاتها والتوغل في تكوينها بغض النظر عن جنسيتها او نشأتها او تكوينها .

الأنطولوجيا : هي الكينونة وهي يونانية الأصل ، اذ آلت الى نظرية غايتها (الوجود بما هو موجود) "فهي علم الوجود وعلم تجريد الوجود هو أحد الأفرع الأكثر أصالة وأهمية اذ يتخصص هذا العلم بالبحث ودراسة الوجود اللامادي في القضايا الميتافيزيقية المترتبة على التصورات أو المفاهيم والقوانين العلمية، مثل المادة والطاقة والزمان والمكان والكم والكيف والعلة والقانون والوجود الذهني إضافة الى أصناف أصناف الوجود الأساسية في محاولة لتحديد وإيجاد أي كيان أو كينونة وأي أنماط لهذه الكينونات الموجودة في الحياة"(*). ومع كل هذا فإن الأنطولوجيا ذات علاقة وثيقة بمصطلحات دراسة الواقع . لذلك فأن مفهوم الأنطولوجيا ظهر في الفلسفة "بمعنى علم الوجود ولكن منذ التسعينات أصبحت الأنطولوجيا من أهم مجالات البحث العلمي في المعلوماتية الحديثة. حيث أصبح لها مفهوم ما تحديدا تفصيليا (ظاهريا) لتصميم مجال معين، فقد أصبحت الأنطولوجيا، مع ظهور الإنترنت والويب الدلالي، أهمية كبرى في مجال هندسة المعرفة حيث أنها تساعد مستعمليها على إثراء النظام بمعاني ومفاهيم المصطلحات. ولقد أثبتت الأنطولوجيا مردوديتها في ميادين عدة مثل الذكاء الصناعي والطب وهندسة البرمجيات، إلخ. ولقد أصبح البحث مكثف في مجال الأنطولوجيات منذ التسعينات بمراكز البحوث في الإعلامية نظرا لأهميتها في مجال تصميم الأنظمة"(**).

- الثكل - الفجيعة في الروايات العراقية :

من التمثلات المهمة التي تمثلت بها المرأة "الثكلى أو المفجوعة بفقد عزيز" وهو ما يترك أثره غائراً داخل المرأة, التي تتأثر بأبسط الأمور لحساسيتها المفرطة اذ ما قيست بالرجل وهو طبعاً بسبب تكوينها البايلوجي, ففي رواية "عطر التفاح" للروائية ارادة الجبوري نرى صورة مؤلمة لحال المرأة التي فقدت ولدها وهي تبحث عنه في الشوارع في لحظات عصيبة وأجواء حرب وقصف : "فتحت باب البيت وجدت امرأة في الثلاثينيات من العمر, ترتدي ثوباً ممزق الصدر, انسدلت على وجهها خصلات من شعرها المنثور,كانت متورمة العينين, مزرقة الوجه ... بجزع سألتني : هل رأيت ابني ؟"(١).

ونرى صورة المرأة المفجوعة بفقد زوجها، التي تجعل من القارئ يتذكر كل عزيز فقد فهي صورة شائعة في بلد يعاني من ظروف استثنائية في الرواية نفسها : "وقفت أمي وسط حلقة محكمة من النساء المتشحات بالسواد,كاشفات الصدور, ناثرات الشعور, حضر أربعة من أبناء عم والدي ليحملوه, تعالى صراخ النسوة وعويلهن في وقت واحد, اندفعت أمي نحوه في لحظة رفعه عن الأرض, حملوا أبي, فسقطت أمي على الأرض, تشبثت بقدم أحدهم, صرخت : خذوني معه ...ادفنوني معه ... أمسكت النسوة بأمي" (٢) . هذا الحال المأساوي بعد فقد عزيز اصبح له طقوساً خاصة به في المجتمع العراقي، فصارت المعزية والمواسية للمفجوعة تتذكر مصيبتها هي الاخرى من خلاله، ليكون الحزن والمصاب جماعياً، وفيه صور مؤلمة شاملة كل صور اللوعة والشوق والحرمان والمصيبة بفقد عزيز .

وتطالعنا أم أخرى تفقد ولدها في رواية "موت الأب" للروائي احمد خلف: "وجدت فراش إسماعيل خالياً ... غادرنا فجراً ولم يترك خبراً حتى ان أمي أوشكت ان تموت من البكاء,كانت لا تعرف إلى أين مضى ومتى يعود" (٣) . و نجد " راحيل " وهي ام " اينان " التي فُجعت بفقد ابنتها امام عينيها, ولا تستطيع فعل شيء لها، بعد ان توسلت وحاولت جاهدةً إنقاذها من هذا القدر المؤلم إلا انها لم تفلح، وصراخها واستنجادها الناس في رواية "أوراق الزمن الداعر" للروائي صلاح صلاح : "بعد ذلك غطوا رأسك وجاءوا بك إلى راحيل, راحيل الطيبة والخائفة من عيون الرجال الملتهبة,كانت أصابعهم على الزناد وكانوا يعرفون انك قد فقدت عذريتك لكنهم أرادوا التأكد حسب, لذلك فان راحيل لم تستطع ان تفعل شيئاً لك رغم توسلاتك, رغم

الأنين, اللوعة, التيهان, التمرد, الخرس ... راحيل كانت تدرك ان لا مجال للتلاعب, أو حتى الهروب ... حيث الرجال يحيطون المنزل من الأرجاء الأربعة"(٤)

. فراحيل المفجوعة بفقد ابنتها "اينان", تستصرخ الناس لكي ينقذوا لها ابنتها، فهي عاجزة عن فعل شيء لها سوى الصراخ والعويل، وبعد فقدها باتت تعاني فراقها, وتتذكرها في حلها وترحالها, لانها من كانت تملأ لها فراغها وتسليها, وها قد رحلت الى غير رجعة .

ونلحظ شخصتين هما " شيرين " و " أم ازاد " فالأولى ثكلى بفقد زوجها في الحرب, والثانية ثكلى بفقد ولدها " ازاد " ولا تختلفان في الحال المأساوية الذي تعيشانه في رواية " حصار العنكبوت " للروائي كريم كُطافة : " شيرين زوجة النصير مراد , الذي ضاعت أخباره, منذ زمن ليس بالبعيد ,كانت متنحية بعيداً جالسة على تلك الحافة الطينية التي تشبه مصطبة بحذاء جدار غرفتها , واضعة يدها أسفل خدها باستسلام واضح لعالمها الداخلي"(٥) , والحال يزداد سوءً مع " أم ازاد ": "أم روزا شفنا الأصعب, لا تنكسري, ليتني أني هسة اعرف وين ازاد, أرادة تذكيرها انها هي الأخرى مكلومة باختفاء ابنها الصبي الذي استبقته الاستخبارات في سجونها بعد ان هجروها هي وأطفالها"(٦) . فقد بات حال المفجوعة هذا مشهداً تراجيدياً شائعاً في ظل الواقع العراقي المرير, والواقع المأسواي الذي القت الحروب بظلالها عليه .

- الثكل أو الفجيعة في الروايات الايرانية :-

نجد تمثل المرأة " الثكلى او المفجوعة " في الروايات الايرانية ايضا ، ففي رواية " همه چيز ساده اتفاق آفتاد " أي "كل شي حدث سهلاً " للروائي الإيراني "محين خدمتي " , فقد تمثلت لنا الثكلى أو المفجوعة بـ " فاطمة خانم " التي تتوسل لكي تحي الميت وتسمع دقات قلبه " دعني اسمع صوته, اسمع صوت دقات قلبه, أسألكم بالله ... قلت في نفسي, ماذا يعني هذا؟ "(٧).

تطالعنا " سلطنت " الثكلى بفقد أولادها السبعة الذين ماتوا عند الولادة أو الطفولة قد القى بظلاله على شكلها واخذ منها الحزن مأخذاً في رواية " فاصله ها " أي " المسافات " للروائي "الف , افسوس أو پرستو افسوس " الايراني :"لم يعد وجهها الأصفر وتجاعيده كطراوته و بشاشته المعهودة, طبعاً يجب ان لا يتوقع أكثر من ذلك بعد تسع ولادات متتالية, سبع منهم ماتوا في بداية الطفولة والآن وهي لها ولدان تبدو عجوزاً كبيرة ."(٨).

ولايختلف كثيرا حال " نيم تاج " التي فقدت كل أسرتها واحداً بعد أخر لتعاني وتكاد ان تجن بعد فراقهم في الرواية نفسها : "لقد فقدت كل افراد اسرتها واحداً بعد الاخر, واختها سلطنت بانو ايضاً كانت منشغلة بحياتها، وقلما تجد فرصة لتعبر بها عن همومها ."(٩).

في حين ان صاحبة العزاء التي لا تنفك عن البكاء والناس حولها يؤلمهم ألمها، فيما هم حولها في رواية " درخت كج " أي " الشجرة العوجاء " للروائي الايراني " ضياء الدين وظيفة شجاع " : "أكثر الناس اجتمعوا حول هذه المرأة على شكل حلقة ,كانت الحلقة هذه لا تنفك تدور , والمرأة كانت تبكي بهدوء وتنتفض والناس حولها يبكون ويهتزون من شدة البكاء ."(١٠).

ونرى المرأة المفجوعة في منظر صادم يعكس حال الحزن، وحجم المصيبة العظيمة التي تقع على المفجوعة الثكلى في الرواية نفسها: "تلك المرأة في منتصف العمر في الجانب الآخر من فناء البيت، والتي وضعت يدها على فم فتاة كانت تبكي، وكانت هناك امرأة أخرى قد أمسكت بقوة بيدها، وكانت البنت تتمسك بيدها الأخرى شعرها الذي بدى من تحت عباءتها فتشده بقوة لينزل المتبقي منه على وجهها ."(١١) . ان منظر المفجوعة هذا يختصر وجعها وألمها من فقد لأعز ما تملك، حيث باتت الان لا تملك شيئاً، ولا تستطيع ان تعبر عن هذه اللوعة وهذا الحزن الا بالصراخ والعويل وتمزيق الملابس وشد شعرها، ما عساها ان تفعل لكي ترجعه ! وتطالعنا " شهين " التي تشيع ولدها لتفقد توازنها وتلقي بنفسها على الأرض، وتعفر وجهها بالتراب، وتحتضنه مفجوعةً بفقده في رواية " درچوبى بسته است " أي " الباب الخشبي المغلق " للروائي الايراني " نصرت ماسوري " : "يوم الدفن فعلت ما فعلت, لقد ألقت بنفسها على التراب واحتضنت التراب كأنها تحتضن ابنها سامان ."(١٢) .

ويتكرر المشهد المؤلم مع " إلهة "، فهي مع اختها في مشهد مؤلم في رواية " يكبار برايم كافي بود " أي " مرةً واحدةً تكفيني " للروائية الايرانية " الهام ذو الفقاريا " أو " الميرا ": "كانت إلهة وأختها قد جلستا في زاوية والناس كانوا يواسونها ... حينما جاؤا بالجثة إلى البيت لإلقاء النظرة الأخيرة ثارت ضجة, لقد اختفى صوت اليتيمتان ما بين صياح ونياح النساء"(١٣) . كلنا يعرف ان مشاعر الالم و اللوعة بفقد عزيز تكون على اوجها عند توديع الجثة بعد القاء النظرة الاخيرة، وخصوصاً ان الجميع يعلم انها اللحظات الاخيرة, ومن بعدها سيذهب الفقيد الى مثواه الاخير والى غير رجعة .

ونلحظ الثكلى " أم وحيد " التي تزف ولدها بأكليل زهور في سيارة الاسعاف وكأنه مشهد عرس لكن من نوع اخر في رواية " يكبار برايم كافي بود ": "كان ولدها فاقداً للوعي وقد أحاطت به بضع نسوة أكليل الزهور على سيارة الإسعاف ذكرني بسيارة العرس, ولكن هذه المرة العروس لبست الأسود والعريس الأبيض ."(١٤) . اما " المفجوعة أو الثكلى " في الروايات الإيرانية المترجمة، نجدها رواية " طهران الضوء القاتم" للروائي امير حسن چهلتن نجد الأم التي أضاعت ولدها " قاسم "، ولا تعرف عنه أي شيء بعد ان اعتقل من قبل السلطة وبقيت مفجوعةً بفقده، ويتراءى لها قدومه في كل لحظة إليها : "أظن ان تلك السيدة الجالسة قربنا أضاعت قاسمها أيضاً, وكانت تعرف كم هو مؤلم ضياع قاسم, فركت العمة بلقيس كتفيها إلى ان استعادت وعيها, من اجل ان تستعيد أمي وعيها سريعا, نذرت العمة بلقيس ان تصلي على محمد مائة مرة مسبحة, ولم تترك المسبحة من قبضة يدها لأسبوع " (١٥).

وتطالعنا " مريم " في رواية " بنات ايران " للروائية الايرانية ناهيد رشلان، التي فقدت ابنتها التي تبنتها بعد ان عاد والدها وأخذها بدون ان تعلم مما ترك أثراً كبيراً فيها : " انتابني الخوف عندما أدركت انهم أبعدوني عن مريم لا بد انها بكت عندما وصلتها رسالة والدي التي يخبرها فيها انه سيأخذني,

ولا بد انها هدأت من روعها وهي تفكر في القدوم إلى الأهواز بأسرع ما يمكن لترجو والدي ان يعيدني إليها, متى ستصل إلى هنا ؟ هل ستتمكن من استعادتي ؟"[١٦], ونرى الخالة " خديجة " التي تثكل بأولادها في الرواية نفسها: "كانت الخالة خديجة امرأة تبدو حيوية الآن, لكنني سمعت مريم تخبر المستأجرين عنها بأنها لبثت حزينة سنوات, واضاقت الخالة خديجة بمرارة : الم امنحه ثلاثة أولاد ! ماذا كان يريد مني غير ذلك "[١٧], لقد شكل الفقد في رواية " بنات ايران " ثيمة بارزة، فالشخصيات جلها تعاني من الفقد الحقيقي فنجد " شامسي" هذه " الثكلى " بفقد ابنتها " منير " : "كانت ابنتها منير الصغيرة, لا تبصر بإحدى عينيها ولاترى سوى ظلال مبهمة للأشياء بالعين الأخرى ... ثم اختفت منير, لم يعد يراها احد في الصباح أو في أي وقت أخر من اليوم, واختفت ابتسامة شامسي أيضاً, ذات يوم اعترفت بكل شيء, كان رجل يريد ان يتزوجها لكنه لا يحتمل وجود طفلة عمياء لذا أخذت منير إلى الصحراء عند احد أطراف طهران وتركتها هناك, ثم فرت شامسي"[١٨] ، ولنا ان نتصور الفقر والعوز والحرمان الذي دعاها إلى فعل هذا الفعل الشنيع ! ان المرأة الثكلى او المفجوعة لفقد عزيز تواجه صراعاً كبيراً في حياتها بعد أن تفقد الاب او الزوج او الاخ او احد الابناء، لتبدو مواصلة الحياة بعد هذه الخاسرة الكبيرة، والفقد الذي لا تقوى على الصبر عليه، لتبقى متأثرة به ما تبقى من حياتها ، وتعاني وتقاسي آلامه ومأساته، فتبقى المرأة بعاطفتها المُتسعة التي لا يسعها حصر وبجروحها الكبيرة الواسعة ومخاوفها تعيش حياة ناقصة حزينة مفجوعة، تتذكر كل يوم وساعة ولحظة فقيدها الذي رحل، حتى وان ضحّت المرأة الثكلى او المفجوعة، وقررت أن تُدير ظهرها للحياة وتكرس ما تبقى من حياتها على ذكرى من فقدت، ولكنها لا تستطيع أن تتجاهل حجم تلك التضحية التي لا تعرف كيف سيكون شكلها بعد سنوات، وكيف سيكون لونها إذا مابقيت على هذا الحال .

من خلال تناولنا للرواية العراقية والايرانية تبين لنا ان هذا التمثل من حيث الكم وتكرره مظاهره في الروايات قد ارتبط بالمرأة العراقية ارتباطاً وثيقاً من خلال واقعها الذي عاشته, فالحروب العبثية المتعاقبة المتوالية قد ألقت بظلالها على مجتمعها، وباتت رحى الحروب تطحن كل عزيز عليها لكونها الأم والأخت والزوجة والبنت فبالتأكيد ستكون المتأثر الأول بمثل هكذا أوضاع استثنائية, "عندما يتعلق الأمر بشجون الكتابة ورؤية العالم لدى مؤلفة عراقية سنرى ان الحرب لم تكن , بالنسبة لها , أكثر من مأتم يتجمع تحت سرادقه الحكاة في مساعيهم المحمومة لإعادة تداول أحاديثهم المقموعة عن الجروح التي أحدثتها مباضع , تقل رهافة عن مبضع الحرب"[١٩] . لا بد من الإشارة إلى ان مشاعر الحزن والألم ووجع الفراق لدي المرأة هو واحد، ولا يمكن ان نحصره بهوية عراقية او ايرانية أو جنسية بحد ذاتها،على الرغم من الارتباط الوثيق بالمرأة العراقية من حيث الكم –كما اسلفنا-، لكن المرأة الايرانية هي الاخرى كان لها حظاً وافرا فيه،وان لم يبلغ العراقية، فالمشاعر الإنسانية الوجدانية تفوق كل حدود، والألم هو سمة جامعة لكل مفجوع بفقد عزيز، ومما يجدر الإشارة إليه ايضا ان المجتمعات المحافظة لها مراسيمها الخاصة في تصوير الثكلى، وتأطيرها بعادات وتقاليد محددة بعينها لا تخرج عن إطارها المحدد لها والمتوارث عرفاً من الأقدمين ولا يمكن الخروج عنه البتة . فالتماثل الذي يمكن ان يصل حد المطابقة في مشاعر الثكلى وآلامها واحساسها بالفجيعة هي سمة فارقة انماز بها تمثل المرأة الثكلى المفجوعة بفقد عزيز في الروايتين العراقية والايرانية ، اذ لا يمكن ان تميز هذا التمثل من هذا الجانب دون معرفتك المسبقة انه يخص الرواية العراقية او الايرانية، فالتطابق سمة بائنة يصعب التفريق بينها .

- الطلاق في الروايات العراقية :-

يعد تمثل المرأة " المطلقة أو المنفصلة عن زوجها " من التمثلات الشائعة أيضاً, والذي يعد من ظواهر هذا العصر, ففي رواية " الشاهدة والزنجي " للروائي مهدي عيسى الصقر تتحاشى " نجاة " حتى المرور من الشارع الذي يقع فيه المحل الذي يملكه طليقها: " دعينا نذهب من طريق آخر ... – لماذا ؟ - هذا الطريق اقرب اعرف اقرب لكن انا ما أريد نمر على دكان حسون . – وهو حسون ماذا يقدر ان يفعل لك الآن ... بعد ان طلقك . – قالت في ضيق : لا يفعل شيئاً ... لكن لنذهب من طريق آخر"[٢٠] . فهذه المطلقة تتحرج من المرور من طريق تتوقع ان يراها طليقها فيه، فاي حساسية وحرج هذا الذي تعانيه ! . وتبحث " أم ياسر " زوجة عريف " مظهر " عن الانفصال بسبب زواجه بامرأة ثانية من دون موافقتها, بل وحتى معرفتها بالموضوع أصلاً في رواية " القمر والأسوار " : " ما الذي حدث ؟ - مظهر تزوج , وفغرت خيرية فاها :- ماذا تقولين تزوج ؟ ومتى ؟ - قبل ثلاثة أيام ولم اعرف إلا اليوم, عندما طلب مني ان افرغ غرفتي وانتقل انا وياسر للغرفة الأخرى الصغيرة, وعندما سألته عن السبب قال : انه تزوج ويريد الغرفة لزوجته, ثم انتحبت من جديد بصوت كسير "[٢١] .

فأم ياسر المسكينة تتطلق بسبب زواج " ابو ياسر " دون علمها, لتكون هي واولادها ضحيةُ لنزوات هذا الزوج . ونلحظ " سلافة " في رواية " ضفاف أخرى " للروائي ذياب فهد الطائي التي عانت من هوس زوجها وإدمانه القمار وإهماله لأسرته, ولم تتخلص منه إلا بدفع مبلغ له من اجل ان يوافق على تطليقها : "هي طالبة جامعية , تزوجت من ابن خالتها وكانت تعاني من هوسه بالقمار , فأهمل البيت وأضاع كل ما كان يملك , واضطر الأب إلى تطليقها منه لقاء دفع تعويض مناسب أمكن الزوج من المغادرة إلى جهة ما في أوربا "[٢٢] . ولا تختلف " عشتار " كثيراً في رواية " العزف في مكان صاخب " للروائي علي خيون عن سابقاتها، فقد عانت وقاست وطفح بها الكيل لتطلب الطلاق منه بنفسها : " أجبرت عبد الفتاح على ان يطلقني وحين أبى, طلبت الطلاق بنفسي, وتخلصت منه بعد عناء "[٢٣] . ففي مثل هذه الحالة لا تعاني المرأة من زواجها بالشخص غير المناسب وحسب بل وحتى في الحصول على حريتها والطلاق منه . اما في رواية " موت الأب " للروائي احمد خلف بقيت الأم هنا حائرة متخبطة مذهولة لا تعرف ما تفعله بعد ان دخل عليها زوجها بزوجة ثانية وهو يتوعد ويتهدد كل من سيء لها, فقد تركت البيت مرة وطلبت الطلاق, ومرة اخرى عادت ورضخت للأمر الواقع وتارة تدعي انها غير مكترثة لهذا الزواج, فأمرها محير لأنها لا تملك أي أوراق ضغط بيدها لكي تتحكم بها : " فاجأنا أبي بامرأة

تصغره عشرين عاماً, وقد غاب عنا ثلاثة أيام على التوالي, جاء بها وألقاها بيننا, وسمعنا صوته يهدر بتوتر وتهديد : هذه زوجتي الجديدة, ولا أريد ان يسيء إليها احد ... لم تعترض أمي باديء الأمر, رأيت كيف تبادلت مع المرأة الشابة زوجة أبي نظرات متفحصة تحاول أدراك كنهها ومعرفة سرها الذي تنطوي عليه وعلاقته بها"(٢٤) . ويعرض لنا الروائي علي بدر أنموذجين لمرأتين مطلقتين أحداهن " عايدة " وهي عراقية والأخرى " باري " وهي إيرانية وهما مطلقتان، ويمكن ان تكون المقارنة بين هاتين المرأتين هي مقارنة داخل مقارنتنا بين المرأة العراقية والإيرانية في داخل الرواية نفسها ونقصد هنا " رواية حارس التبغ " : "تعرفت على سيدة عراقية من أسرة جد راقية اسمها عايدة النديم كانت يوماً زوجة لقنصل عراقي في طهران, وأقول يوماً لأنها تطلقت منه, وهي امرأة ذات شعر أشقر ومظهر متجهم "(٢٥) .

ونجد " باري " التي تطلقت وهي في العشرين من عمرها في الرواية نفسها : "كانت باري في العشرين من عمرها, تطلقت من زوجها منذ عامين وهي بلا أطفال, وقد عملت منذ طلاقها في صالون حلاقة نسائي يقع في شارع خيبان ولي عصر "(٢٦) . فهي صغيرة نسبياً وقد تطلقت, مما حدى بها الى البحث عن وجودها من جديد, وكان هذا الوجود في عملها .

الطلاق في الروايات الايرانية :

تعد المرأة المطلقة من التمثلات الظاهرة في الروايات الإيرانية جلياً وقد اخترنا منها ما يناسب بحثنا حصراً وأهملنا ما سواه، ففي رواية " زن زيادي" اي " المرأة الزائدة " نرى هذه المرأة تلجأ إلى أخيها بعد طلاقها وجل ماتفكر فيه هو " مهر صداقها " : " في اليوم التالي كنت ذهبت لدائرة أخي واقنعته انه طلقني وعندما تنتهي العدة سيدفع لي ما تبقى من مهر صداقي."(٢٧) . ونجد "جيران " التي طلقها زوجها في رواية " فاصله ها " " المسافات " : "برأيك ما سبب وحدة هذه المرأة ؟ لا أعلم يا فرشاد, ربما تكون مطلقة أو انفصلت عن زوجها وواصل زوجها قائلاً : وربما يكون هذا الطفل نتيجة نهاية الحياة الزوجية ."(٢٨) . وتطالعنا " عاطفة " المطلقة من العم محمد وهي تعاني اشد انواع الالم والحزن وتقاطع الجميع وتخلوالى نفسها اثر الطلاق الذي اثر على نفسيتها في رواية " تكرار يک بازى " " تكرار اللعبة ": "أخيرا استطاعت ان تتكلم وان تخرج ما بداخلها من ألم , ستارة : منذ مدة تطلقت من العم محمد , لا أدري ما أقول لكن كل ما أقدر ان أقوله هو أنه هو الذي أراد ذلك مني"(٢٩) .

ونبقى في الرواية نفسها لنرى هذا الذي طلق عمة (ستاره) من أجل ان يتزوج بأمرأة اخرى، والتي هي أم " ستاره " : "طأطأت أمي رأسها قائلة : انه اتصل (هاتفياً) ليحي حبّه القديم , على فكرة .. ستاره : انه .. انه طلب يدي من اجل ذلك طلق عمتك ."(٣٠). ونلحظ " آنت " قد تطلقت من زوجها خارج أيران، وقد حضرت الى ايران بعد طلاقها في رواية " درچوبى بسته است " " الباب الخشبي المغلق " : " مضى على مجيئها إلى إيران سنة تقريباً ..كانت قد تطلقت من زوجها ولوجود احد أقاربها في السفارة تمكنت من تخليص معاملاتها ."(٣١) . وتطالعنا شخصية " مهوش" في رواية " سفر خاک " " السفر الأرضي – السفلي " التي تصادق شخص أخر من قبل ان تحصل على الطلاق : "ما هو عيب زوجك يا سيدتي ! ... عندما خرجنا من ممر المحكمة كان صديقي ينتظرني في الميدان ومعه طابعة قديمة , وبالصدفة كنت قد تعرفت عليه قبل ان انفصل عن زوجي ."(٣٢) .

وتعد ايضا المرأة " المطلقة " من التمثلات البارزة في الرواية الإيرانية المترجمة , ففي رواية " ان تقرأ لوليتا في طهران " للروائية الايرانية اذر نفيسي نرى " آذين " التي طلقها زوجها بعد ان اخذ ولدها " نيغار " منها وعانت بعد ذلك ما عانت : " وقبيل أشهر قلائل , فاجأتني آذين بمكالمة ... وأخبرتني ان زوجها السابق قد استطاع ان يأخذ منها , نيغار. "(٣٣) . ونجد المرأة التي هجرها زوجها وتركها مع سبعة أطفال لا تعرف كيف تعيلهم أو تعيل نفسها، ليطلقها بعد ذلك، كونه قد تحجج بأنها قد شكته للقاضي بعد هجره لها في رواية " نون والقلم " للروائي الايراني جلال ال احمد : " أصبح معظم الشاكين من النساء ممن هجرهن ازواجهن ... تاركين بيوتهم وزوجاتهم في امان الله ... خرجت من بين امرأة طويلة القامة نحيفة القد, ودخلت في الرواق عند الميرزا أسد الله ... ان زوجي الخسيس المشهدي رمضان العلاف أصابه الله بمس من الجنون ترك لي سبعة رؤوس ومضى . "(٣٤) .

مما يجدر الإشارة إليه ان ظاهرة الطلاق التي اخترناها كانت كلها كنتاج للروايتين العراقية والايرانية وبالتالي المجتمعين، فالمجتمع حتى وان تخلص من القيود والاغلال التي تفرضها القيم أو ألاعراف أو السلوك الديني او الشرعي او المجتمعي وكان ضمن تصنيفنا مجتمعا مدنيا او وقع تحت سلطتها ليكون مجتمعا مغلقا فكلاهما قد تعاملا بسلبية مطلقة مع المرأة المطلقة وكانت سمة الافراط في الشك والريبة والخوف من المطلقة سمة فارقة لا مناص للمرأة عنها ، إذ ان طبيعة المجتمع المدنية المنفتح والمجتمع المنغلق من جهة والمرأة المطلقة ونظرة هذين المجتمعين تجاهها كانت ظاهرةً واضحةً للعيان. هل المطلقات كائنات فضائية جئن من كوكب اخر ؟ ان هذا المجتمع الذي سلب المرأة المطلقة كرامته وكبريائها وعزتها، وبات ينظر اليها على انها كائن اخر طارئ على هذا المجتمع، ويهمل حقيقة كون المطلقة هي انسان قد اخفق في تجربة الاقتران برجل لآي سبب كان، لتتحول بعد طلاقها الى كائن منبوذ قاصر مثار شبهات وهواجس بل الى كائن ميت وهو حي، فلا يأبه احد لانسانيته او احاسيسه بل يتعامل المجتمع معه بنظرة سوداء قاتمة محاطة بأسوار من الخوف والكتمان والسرية، فكم من امرأة لم توفق في زيجتها الاولى لترمي بها اقدارها الى سجن المطلقات والموت في حياتها، من غير ان يأبه المجتمع الى الاسباب والمسببات التي كانت وراء طلاقها، ويتناسى الجميع ان الطلاق ليس دائما بسبب المرأة وانما هنالك مجموعة ضروف محيطة اضافة الى الرجل وهو السبب الاخر الذي لا يذكره احد، ان المرأة المطلقة هي ام واخت وابنة فهل يشاركها المجتمع الآمها فعلا ان انه يرميها بشبهة الاتهامات دائما .

فقد تماثلت المطلقة بكل صور معاناتها واهمالها ونظرة المجتمع السلبية تجاهها في المجتمعين العراقي والايراني على حد سواء، وباتت هذه المطلقة يُنظر لها بسلبية، ويُبالغ في التوجس منها كونها مثار اتهام في حلها وترحالها ، فهي متهمة ولا يُحمل اي تصرف لها محملا حسنا وان كان كذلك . ولا يفوتنا ان نضيف ان الطلاق كظاهرة هو سمة العصر في المجتمع, وإذا ما قارنا نسبه في المجتمعات الشرقية فهو بالتأكيد ظاهرة شائعة، وقد لمسنا ذلك في تكرار هذا التمثل في الروايات, وهو ما تحاشيناه منعاً للاطالة والتكرار .

- اليتيم في الروايات العراقية : -

عندما نسمع بكلمة يتيم يتبادر الى اذهاننا الظلم والقهر والحرمان النفسي، فيعد اليُتم من التمثلات التي كانت كظاهرة متكررة وشائعة في المجتمع العراقي لاسباب معروفة، وبالتأكيد هذه الظاهرة من الظواهر الشائعة في مجتمعنا , وواضحة للقارئ . فنجد " نورية " المتميزة في كل شيء, التي تفقد كل أحلامها بعد يتمها في رواية " لو دامت الافياء " : " نورية إنسانة متميزة وهي أكبر أبناء الحاج, كانت أشطر فتاة في صفها ومن المع طالبات المدرسة, كانت تأمل ان تكمل المتوسطة لتدخل دار المعلمات فتصير معلمة إلا أنها بعد نجاحها إلى الثالث المتوسط توفيت أمها اثر ولادة اصغر الأبناء ... ولم يكن أمامها إلا أن تترك الدراسة لكي تشغل موقع الأم في رعاية الوليد وبقية الأخوة والأخوات, وإدارة شؤون البيت "(٣٥) . ونلحظ حال اليتم والحرمان الذي يضرب اطنابه من كل حدب وصوب فهو " اغتصاب للروح " في رواية " عطر التفاح ": " لم أكن سوى فتاة من عائلة يتيمة الوالدين تعيش مع أخيها, المنسجم جداً مع إيقاع الحياة ... أخ لم يدرك معنى أن تغتصب الروح "(٣٦) . ونجد حال اليتم قد جعل من هذه الشخصية معيلة بأمها الكبيرة بالسن, على الرغم من مرضها بالقلب في رواية " العزف في مكان صاخب " : "فتاة جامعية أحبها وأحبته, ظروفها صعبة, مات والدها في الشمال, عريف أو رئيس عرفاء ... لا أدري ... استعانت بأمجد ... لم يكن لديها سوى أمها الكبيرة ... فتاة وحيدة ومريضة بالقلب "(٣٧) .

- اليتيم في الروايات الإيرانية :-

تعد " اليتيمة " من التمثلات الظاهرة بشكل بارز في الروايات الإيرانية، ففي رواية " فاصله ها " " المسافات " نجد البنت اليتيمة " جيران " وهي تنتقل إلى بيت عمها وزوجته : "لم ينجُ من ركاب الحافلة سوى أربعة أشخاص والباقون ماتوا فوراً, لقد أطلعني عمي وزوجته بلقيس واللذين توليا رعايتي منذ بدء دخولي الى المدينة الجديدة على سرٍ مهمٍ - خطير-"(٣٨) ونجد الفتاة اليتيمة " ستاره " التي تصف يأسها بعد فقد والدها لكنها استطاعت تجاوز الأزمة بعد التوكل على الله في رواية " تكرار يک بازى إألأ: " تكرار اللعبة " : "بموت والدي انكسرت لفترة لكن بتوكلي على رب السماوات وجدت نفسي واستطعت مرة أخرى أن ابدأ حياتي من جديد ."(٣٩) . ونبقى مع اليتيمة التي تسمع قصص عن والدها الذي تفتقده في كل زمان ومكان في رواية الرواية نفسها : "ستاره أنتِ وأمير كنتما أمل حياة أبيكما, ان أباكما يرحمه الله كان يقول دائماً : ستاره حياتي كلها, على أي حال كان يحبكِ كثيراً ."(٤٠) .

ونلحظ شخصية " شهرزاد " اليتيمة في رواية " آمده بودم بادخترم چاى بخورم " " جئت لأشرب الشاي مع أبنتي " نجد شهرزاد التي لم تكن لتفهم ان والدها قد توفي وأنها باتت يتيمةً من الآن وصاعداً : "ما فعلت بتلك الغزلان التي صنعتها من الورق ؟ رأيتني وقلت عندما مات الوالد الكل ناح وبكى وأنتِ كنت ِ جالسه في زاوية هناك وكنتِ تلعبين بالورق واللاصق والمقص تصنعين غزلاناً وكنت تلصقيه على الأبواب والجدران، وهو ما يدل على عدم ادراكها انها اصبحت الان ضحية اكبر افة تنهش المجتمعات، انه " اليُتم "الذي سيغير كل حياتها ."(٤١) . ولا تكاد شخصية " مهتاب " في رواية " دستكش قرمز " " القفاز الأحمر " تختلف عن سابقتها، فهي اليتيمة التي لن تنسى تاريخ وفاة والدها : "مضت خمسة أعوام على وفاة أبي, وفي هذه الخمسة أعوام كانت أمي توقظني صباحاً في كل عيد مبكراً, البس ثيابي وننطلق نركب عدة سيارات لنصل إلى بيت العم ."(٤٢) .

وفي رواية " يكبار برايم كافي بود "" مرة واحدة تكفيني " نجد " الهة " التي لم يخبرها احد ان والدتها قد توفيت في طهران :"حركت رأسها علامة للرفض، المسكينة نفسها لا تعلم بالخبر, لقد كانت أمها راقدة في مستشفى بطهران, وتوفيت آخر الليل ولم يخبرها احد بذلك"(٤٣) . اما المرأة "اليتيمة "في الروايات الإيرانية المترجمة فأنها تعد من التمثلات المهمة, ففي رواية " طهران الضوء القاتم" تعاني اي ما معاناة : " يا لهذه الدنيا, يا لهذا الدهر ! أنتِ لا تذكرين, لقد كنتِ طفلة صغيرة في حضن والدتك العزيزة حين توفي والدك "(٤٤) . ونرى " مينا " هذه المظلومة التي تعاني اليتم مرة وظلم واضطهاد زوجة الأب مرات عدة في رواية " أشياء كنت ساكتة عنها " : " على الرغم من حالتها كيتيمة, كانت للخالة مينا طفولة أفضل من طفولة أمي التي توفيت أمها حينما كانت صغيرة السن تماماً, تاركة إياها لرحمة الإرادة المتقلبة لزوجة أبيها وإهمال أبيها الذي كان يخلط بين الانضباط والعاطفة"(٤٥) .

ونلمس إذلال اليتم وتأثيره على مسار حياة اليتيمة والأم الأرملة على حدٍ سواء رواية " دماء الأزهار " : " شاهدت أربعة رجال يحملون جثة مترهلة فيما بينهم ... بينما اقتربت المجموعة لاحظت ان عباءة المصاب كانت ملفوفة كتلك التي ارتداها والدي ... فصرخت في نواح : حبيبة النجدة "(٤٦) . ونلحظ " زرين تاج " زوجة الميرزا أسد الله التي تورد واقعها بعد يتمها ووفاة والدتها في رواية "نون والقلم " لجلال آل احمد : " كيف تفرطين بشبابك يا أختاه ؟ ... رحم الله أمي حين ماتت كدت اجن, وقعت تحت رحمة زوجة أبي ... لولا نسج السجاد لمت كمداً بعد وفاة أمي"(٤٧) . من خلال نماذج الروايات العراقية والايرانية ظهر لنا جليا حال اليتيمة ومعاناتها الكبيرة، فان اليتم من أشد الحالات قساوةً على اليتيم، ويبقى صاحبه يعاني ويلاته بحسب سلوك الأفراد وقربهم ممن فقدوهم، ولكل مجتمع خصوصيته في التعامل مع الايتام ومراعاتهم، الا ان المجتمع المدني من اكثر المجتمعات سوء في التعاطي مع

اليتيم، ومن اشدها اهمالا له، ولا بد من الاشارة ان اليتيم ومقاساته من اليتم هي ظاهرة عامة يحددها موقع وصفة الفقيد وعمر وقدرة اليتيم على التأقلم في المجتمعين العراقي والايراني كليهما . فلا نكاد نسمع عن يتيمة الا ونتخيل امامنا صورة امرأة ذليلة تشعر بالحرمان والنقص والقهر، ولوحظ ان المسؤول عن هذه المأساة هو مجتمع المدنية الذي انشغل بمتطلبات الحياة والسعي الى مواكبتها وترك اليتمة تصارع مأساتها وحيدة فريدة، لذلك فان مظاهر الظلم والقهر والاهمال وكل الاضطرابات النفسية التي تحتل نفوس اليتيمة لا علاقة لها باليتم او بفقد النسب بل هي من صناعة المجتمع الذي يهمل ويمعن في ظلم الايتام ولا يأبه لهم مطلقاً ... ان مما يُشار إليه أن " اليُتم " في المجتمعات المدنية يكون أكثر قسوةً وإيلاماً منه عن المجتمعات الاخرى بسبب عدم وجود مُعيل لليتم في الأولى ووجوده على الأغلب الأعم في الثانية، فالنظام المحافظ أو الريفي أكثر تكافلاً منه من المجتمعات المدنية كذلك طبيعة المجتمعات المدنية قد فرضت عليها نسق واسلوب حياة خاص بها، وقد جعل من الانسان منسجم وطبيعة الحياة السريعة حيث باتت اليتيمة ضحية، فالحياة السريعة في المدن جعل افراده في دوامة واندماج مع طبيعة هذه البيئة .

- الفقير والأمية في الروايات العراقية :-

ومن التمثلات المهمة هو تمثل المرأة " الفقيرة والأمية ", ولابد من الإشارة إلى ان الفقر هو من يورث الأمية والجهل والتخلف والعكس صحيح أيضاً, وقد تداخل التمثلان في موضوعاتنا المختارة من باب السبب والنتيجة, فارتأينا ان ندخلها سوية في تمثل واحد مع الإشارة إلى كليهما في العنوان .

ففي رواية " النخلة والجيران" نجد الشكوى من هذا الحال واضحة من خلال العتاب الصادر على لسان تلك المرأة لزوجها, على الرغم من كونها متزوجة إلا ان الفقر والعوز والحرمان باتا لا يفارقانها : " أنت تروح وتجي على المرية ... المرية تحبل وتجيب وتربي الجهال وتكنس وتغسل وتطبخ, وداوي رجلها الوجعان, وأنت الحصان عندك أحسن منها"(٤٨) فأي امتهان لحقوقها وأي احتقار هذا الذي تعانيه؟

والحال مشابه في رواية " القمر والأسوار " للفقيرة الريفية " حسنة " وقد أدى بها الفقر والعوز والحرمان إلى جملة من الأمراض المتكررة التي تعاني منها : "كانت حسنة سمراء وناعمة, جف لحمها ولم يبقَ من جسدها غير هيكل صغير شاحب, حدث لها ذلك بعد ان أصيبت بنزلة صدرية منذ سنوات, وكانت برحلة إلى قريتها "(٤٩) . ولاتكاد " جانيت " في رواية " ضفاف أخرى " تختلف كثيرا عن سابقاتها, فالفقر والعوز والحرمان قد نخر قواها الخائرة أصلاً : " استغربت مجيئنا وهي تدعونا للدخول على مضض, ربما لم تشأ ان اعرف كم هو مؤلم الفقر الذي تعيش فيه, ... ان امرأة بهذا الواقع المرير الذي لا يمكن تصور ان يرشح بغير أحاسيس الإحباط والعجز "(٥٠) . وتعد " فوزية "التي تعمل خادمة مثالاً صريحاً للامية, في رواية " حارس التبغ " : "كانت تعبر فوزية عن حياتها بلغة بسيطة التركيب وتصوغها بعبارات عفوية, كانت تنطوي على جانب مركب, فهي أمية وفطرية, كانت هذه الريفية متزوجة من مربي جاموس في الفضيلية, أرغمها على الزواج منها قسراً لكنها قاومت سلطته وطلبت الطلاق منه "(٥١) . حتى وان كانت " فوزية " أمية, جاهلة, إلا أنها تثور على ظالميها ولن تخضع وترضى بحياة العوز والحرمان والكفاف على العيش تحت خيمة تكون فيها مضطهدة ومظلومة وذليلة .

لا بد من الإشارة إلى ان هذا الواقع المرير الذي يعانيه أي كائن سواء كان امرأة أم رجل هو قاتل لمواهبه وساحق لشخصيه ومُلغي لوجوده, مُقصي له يجعل منه نكرةً لا وجود له , " ان موقع المرأة على خارطة الوجود الإنساني بأبعاده الإنسانية والاجتماعية والتكوينية الجسدية والأعراف المحيطة بها, والموروث التاريخي الذي تحمله, يوجه نظرها في اتجاه خاص, ويجعل مساحتها الإبداعية موزعة تجاه محاور جديدة بالتعبير عنها, ومناقشة تفصيلاتها والتوغل في تكوينها "(٥٢) . وفي عرض تفريقنا بين واقع المرأة المتعلمة والمرأة الجاهلة " الأمية ", يبدو ان الرواية العراقية لم تختلف عن الروايات العربية الأخرى في سهولة التعرف على الفرق بين المرأة الأمية الجاهلة من المرأة المتعلمة المثقفة من خلال تشكيل واختيار الاسم وكذلك تشكيل الشخصية سواء النفسي منه أو الاجتماعي, وهذا لم تنفرد به الرواية العراقية وحسب, بل ان الكثير من الدراسات للرواية العربية تنبهت لهذا الحال : " من السهل جداً التعرف إلى المرأة في الرواية ... , بدءاً من دلالة الاسم وانتهاءً بالتشكيل النفسي والاجتماعي للشخصية, وهي نموذجان : المرأة المتعلمة, والمرأة غير المتعلمة, وأهمية هذه النمذجة آتية من طبيعة النظرة إلى المثقف, فالمرأة المتعلمة, التي تجمع ما بين المحاميل الاجتماعية والمعطيات التعليمية, تقدم منظوراً يأخذ من المجتمع الشكل الذي يتيحه لعلاقتها مع الذكر, وتطرح في الوقت نفسه بعض ما تحصل في ذهنها عن طبيعة المثقف وخصوصية العلاقة معه "(٥٣) .

- الفقر والأمية في الروايات الايرانية :-

في رواية " زن زيادى - المراة الزائدة " نجد السيدة " نزهت " الأمية الجاهلة التي لا تستوعب أهمية الدراسة : "طبعاً السيدة نزهة الدولة لا تستطيع ان تعتقد بأهمية الدراسة, المعلم نفسه قد قرأ لها بعض الأشياء ."(٥٤) . ونلحظ "جيران " هذه المرأة الفقيرة تروي ذكريات طفولتها الحزينة المؤلمة التي يشوبها الفقر والعوز والحرمان في رواية " فاصله ها - المسافات " : "لقد أعطاني احد الجيران بطانية قديمة بالية عليها العديد من الرقع, وقد أحسست آنذاك أني اسعد طفلة في العالم "(٥٥)

ولا تختلف " نازنين " في رواية " درخت كج - الشجرة العوجاء" فهي ابنة المتقاعد التي تعاني مع عائلتها الفقر : "ابو نازنين موظف متقاعد من دائرة التأمين, وكان دائماً يظن ان هنالك سقفاً يوشك على الانهيار ويجب ان تقوم باسعاف هؤلاء الذين خرَ عليهم السقف من فوقهم ."(٥٦) . ونذهب الى رواية " آمده بودم بادخترم چاى بخورم - جئت لأشرب الشاي مع أبنتي "لنجد هذه البنت الفقيرة التي تشارك في الكشافة لكن العوز يأخذ منها مأخذاً : "كثير من النبات والاولاد في الكشافة كانوا يتقافزون الى الاعلى والى الاسفل ويركضون, ... كنت اراقب البنت تواً كانت هزيلة جداً كان بنطال الكشافة باقياً على خصرها بقوة الحزام الذي جعل البنطال ينكمش ."(٥٧) . والمرأة " الفقيرة والامية " في الروايات الايرانية المترجمة هي

الاخرى كان لها حيزاً لا بأس به, ففي رواية " دماء الأزهار " نجد الاحساس بالفقر والامية والعوز يجعل من الانسان معدوم الثقة بالنفس محطم من داخله : " لم افهم لمَ ارادت ان تصبح صديقة لي, اذ انني مجرد فتاة قروية فقيرة بينما هي فتاة مثقفة من المدينة "[٥٨] , ونبقى في نفس الرواية لنرى نتائج الفقر والامية والجهل تجعل من صاحبها ذليل محتقر مهان : " بعد انتهائنا من معظم مهام التنظيف, ارسلتني " كوك "الى القاعة الكبيرة ومعي قدر من المياه الساخنة كي يغسل افراد العائلة ايديهم, كان الجميع قد انتهى من الاكل ... وقد امتلأت البطون بالطعام, كانت عصافير معدتي تزقزق ولكن احداً لم يلاحظ ذلك, ... وزعت "كوك "ماتبقى في الاطباق بين ستة من اعضاء فريق العمل وكل منا ... تناولنا نحن النساء طعامنا في المطبخ "[٥٩] . ونجد الجدة " عزيز " الامية البسيطة التي تسير حياتها الخرافات والجهل والمعتقدات البالية في رواية " بنات ايران " : "كانت مسلمة ملتزمة ومؤمنة بالمعتقدات الخرافية مثل مريم قالت لي : يجب الا تستفزي الحيوانات, فبعضها تسكنه شياطين صغيرة , وحاذري من الجن أيضاً, لقد خلق الله الانسان من طين والجن من نار, واذا لاحظت يوماً الجن هائماً, يجب ان ترمي الماء عليه فيعود الى تحت الارض, وكانت تقول ان اليوم فال سيء, وانها اذا جاءت الى المنزل فيجب علينا الاحتراس مما قد يحصل بعد ذلك "[٦٠] , ونبقى في الرواية نفسها نجد " محترم " واخواتها الاميات : "تلقت محترم درساً خصوصياً بعد ان تزوجت ... وتلك فكرة والدي, اما خالاتي الاخريات فكُنّ اميات تماماً, تزوجت كل الشقيقات في سن السادسة عشرة "[٦١], وفي نفس الرواية نرى " شامسي " الساكنة مع اطفالها في غرفة صغيرة في منزل وحال العوز والفقر والحرمان سمة فارقة لها : " عندما انتقلت شامسي وابنتها الصغيرتين للسكن في غرفة في منزلنا كان يبدو عليهن البؤس والفقر, اشفقت أمي لحالهن وخفضت الايجار, اينما ذهبت شامسي, كانت ابنتاها تلحقان بها "[٦٢] . ونرى زوجة وعيال " الراعي الذي اصبح وزيراً " بالصدفة يعودون الى فقرهم المدقع وقريتهم البائسة في رواية " نون والقلم ": " ونادى زوجته وابنائه واوصاهم الا يكونوا سذجاً مثله فيرتدون جبة الوزارة, وان يتذكروا دوماً اصلهم ومن اين جاءوا, هم أوصى لهم بصديرية ونعليه حين كان راعياً ... ولما لم يكن قد جمع في مدة الوزارة اية ثروة, ولا ادخر ما لا ينازع زوجته وابناءه فيه احد فقد عادوا بعد دفنه الى أرض ابائهم واجدادهم "[٦٣] . وتطالعنا رواية " دماء الأزهار " اذ هُجرت البنت ووالدتها من قريتهم نتيجة للفقر المدقع الذي عانوه، والجهل والعوز والحرمان، فكان طريق الهجرة الشاق من جهة، والعوز والحرمان من جهة اخرى عاملان لتكونا البنت وامها موضع استغلال : " اخبرتها اني ووالدتي غادرنا ضيعتنا بعد وفاة والدي, وتضورنا جوعاً وانني تورطت في زواج متعة لمدة ثلاثة أشهر مع رجل غني "[٦٤] , ونستمر بنفس الرواية لنرى تبعات الفقر والعوز والامية والحرمان وعدم الادراك والجهل والتخلف : "على من يقع اللوم بأننا ما زلنا لا نملك شيئاً خاصاً بنا ؟ لقد باعوا أغلى ما كنت أملك – عذريتي – من دون ان يحققوا مكاسب تكفي مدى الحياة, ثم وهبوا سجادتي ولم اربح شيئاً بالمقابل, كل يوم كانت أمي تخشى اننا سنضطر للمكافحة مجدداً كي نعيش, نحن نستحق أكثر من ذلك بالتأكيد "[٦٥]

ونجد أيضا المدربة السمينة في الرواية نفسها:"المدربة السمينة كانت تجلس على السلالم التحتانية هناك فما ان رأتني حتى جحظت بعينيها وعادت نحو الميدان"[٦٦]،فالمدربة هنا وعلى الرغم من إجهادها إلا أنها تتظاهر أمام المتدربين أنها على أتم الجاهزية،والنشاط لكي يقتدي بها جميع المتدربين.وتطل علينا مديرة المسبح،هذه الموظفة النشطة التي تعمل بجدٍ واجتهاد وتحافظ على عفة وامن النساء اللائي يحضرن الى المسبح لقضاء أوقاتهن وممارسة هوايتهن.

الحواشي

* ينظر: الموسوعة الحرة ، او المعجم الفلسفي، دار التقدم ، موسكو ١٩٨٦.

** ينظر: المصدر نفسه.

[١]) عطر التفاح : ٦٦

[٢]) المصدر نفسه : ٦٤

[٣]) موت الأب : ٦١

[٤]) أوراق الزمن الداعر : ٦٤

[٥]) حصار العنكبوت : ١٠٧

[٦]) حصار العنكبوت : ٢٦٨

[٧]) همه چیز ساده اتفاق افتاد : ١٠٨ **"بزار صداشو بشنوم , بزار صدای قلب بچه مو بشنوم , تو رو خدا بزار ... با خود می گفتم : یعنی چی"**

[٨]) فاصله ها : ٩٢ **" صورت زرد و چروکیده اش دیگر شادابی أولیه را نداشت البته ، با نه زایمان پی درپی , نباید بیش از این انتظار داشت , هفت فرزندش درهمان اوان کودکی مرده بودند وحال با داشتن دو فرزند پسر , زنی پیر وسالخورده به نظر می رسید "**

[٩]) المصدر نفسه : ٩٨ **" تمام اهل خانواده اشی را یک به یک ازدست داده بود , خواهرش سلطنت بانوهم گرفتار, زندگی اش بود وکمتر فرصت درد دل کردن با او را داشت"**

[١٠]) درخت کج : ٢٠ **" بیشتر آدم ها دور این زن حلقه زده بودند , بی قرار دورمی خورد ومی چرخید , زن آرام می گریست ومی لرزیر وجمعیت همراه اوی گریستند و می لرزیدند"**

[١١]) درخت کج : ١٠٥ **" زن میان سالی آن طرف حیاط دستش را روی دهان دختر جوانی گذاشته بود که داشت گریه می کرد , زن دیگری هم آن جا بود که دست دختر راه محکم چسبیده بود . دختر با دست آزادش موهای درازی را که از زیر چادر بیرون ریخته بودند دسته می کرد وروی صورتش می کشید "**

[١٢]) درچوبی بسته است : ٥٥ **" روزخا کسپاری قیامت کرد , خودشوانداخته بود روخاک وهمچین خاکو بغل کرده بود که انگار خود سامانو بغل کرده "**

١٣) يكبار برايم كافي بود : ٧٣ " إلهه وخواهرش درگوشه اى نشسته بودند وديگران دلداريشان مى دادند ... وقتى جنازه را براى وداع اخر به خانه آور دند غوغايى به پا شد , صداى آن دو طفل يتيم دربين صداى فرياد و شيون زن ها گم شده بود "

١٤) يكبار برايم كافي بود : ١١١ " مادرش از حال رفته و چند زن اطرافشى را گرفتند تاج گل روى أمبولانسى مرا به ياد ماشين شب عروسيش انداخت , اما اين بار عروس سياه پوشيده بود وداماد سفيد پوش است "

١٥) طهران الضوء القاتم : ٤٠

١٦) بنات ايران : ١٨

١٧) المصدر نفسه : ٢٩

١٨) بنات ايران : ٨٧

١٩) مرويات المنفى دراسات في الرواية العراقية المعاصرة : ٩٦

٢٠) الشاهدة والزنجي : ٤٢

٢١) القمر والأسوار : ٨٩

٢٢) ضفاف أخرى : ٤٦

٢٣) العزف في مكان صاخب : ٢٧٣

٢٤) موت الأب : ٢٠٧

٢٥) حارس التبغ : ٢٢٦

٢٦) حارس التبغ : ٢٤٢

٢٧) زن زبادي : ١٤٢ " فردا هم رفته بود اداره برادرم وحالى اش كرده بود كه مرا طلاق داده وعده ام كه سر آمد بقيه مهرم را خواهد داده "

٢٨) فاصله ها : ٧٢ " به نظر تو علت تنهائى اين زن چيست ؟ نمى دانم فرشاد , شايد طلاق گرفته است وشايد همسرش اورا ترک کرده است ! وهمسرش درادامه گفت : وشايد اين كودک هم نتيجه پايان زندگى باشد"

٢٩) تكرار يک بازى : ٢٨ " در آخر توانست حرفش را بزند ودردش را خالي گرداند ستاره من مدتيه از عمو محمد طلاق گرفتم نمى دونم چى بگم فقط مى تونم بگم خودش همينو مى خواست"

٣٠) تكرار يک بازى: ١٠٢ " مادرم سرش را پايين انداخته و مى گويد : اون زنگ زده بود عشق ديرين خود شو زنده كنه , راستش ستاره اون , اون ازم خواستگارى كرد , به همين خاطر عمه تو طلاق داره"

٣١) درچوبى بسته است : ١٢ " يک سالى بود اومده بود ايران .. از شوهرش طلاق گرفته بود وبا فاميلى كه تو سفارت داشت كارشو ايكى ثانيه درست كرده بودند"

٣٢) سفر خاک : ٨١ " شوهر شماچه عيبى داره ؟ خانم ! ... وقتى از راهرو دادگاه ، آمد يم بيرون , دوستم توى ميدان با ماشين تايپ قديمى اش منتظرم بود . به طور اتفاقى، قبل ازجدايى بازنم , با هم دوست شده بوديم"

٣٣) ان تقرأ لوليتا في طهران : ٥٧١

٣٤) نون والقلم : ١٦٢- ١٦٣

٣٥) لو دامت الافياء : ٩٢

٣٦) عطر التفاح : ٨٧

٣٧) العزف في مكان صاخب : ٢٠٦

٣٨) فاصله ها : ١٠" از تعداد مسافرينى كه داخل اتوبوس بودند تنها چهار نفر زنده ماندند وبقيه در دم جان سپردند . عمو و زن عمويم بلقيس كه سرپرستى مرا ازهمان بدو ورودم به شهر جديد به عهده گرفته بودند مرا از راز مجى آگاه ساختند"

٣٩) تكرار يک بازى : ٥ " بامرگ پدرم مدتى بود از پاى در آمده بودم اما باتوكل بر خداى آسمان ها خود را يافتم وتوانستم زندگى رابار دگراز سرگيرم"

٤٠) تكرار يک بازى : ١١٦" ستاره تو و امير, اميد زندگى پدرتون بوديد , پدرت خدا بيامرز هميشه مى گفت ستاره تموم زندگى منه , خلاصه خيلى دوست داشت"

٤١٤١) آمده بودم بادخترم چاى بخورم : ٢٧ "آن آهو هايى راكه با كاغذ درست كرده بودم چه كار كردى ؟ نشانم مى دادى ومى گفتى وقتى بابا مرد همه گريه وزارى مى كردند ومن يک گوشه نشسته بودم وبا كاغذ وچسب وقيچى آهو درست مى كردم ومى چسباندم به در و ديوار"

٤٢) دستكش قرمز : ٢٢ " پنج سال از مردن پدر مى گذشت ...مادر توى اين پنج سال , هر عيد صبح زود بيدارم مى كرد , لباس مى پوشيدم و راه مى افتاديم , چند تا ماشين سوار مى شديم تا مى رسيديم خانه عموجان"

٤٣) يكبار برايم كافي بود : ٧٢ " سرش را به نشانه رد كردن تكان داد وبا لكنت گفت : مادر الهه فوت شده ! ... نگين حرفش را ادامه داد : آخه طفلک خودش خبر نداره , مادرش تو بيمارستان تهران بسترى بوده , ديشب آخر شب فوت شده وهنوز بچه ها بهش نگفتند"

٤٤) طهران الضوء القاتم : ٥

٤٥) أشياء كنت ساكتة عنها : ٦٩

٤٦) دماء الأزهار : ١٩

٤٧) نون والقلم : ٦٤

٤٨) النخلة والجيران : ٢٦٧

٤٩) القمر والأسوار : ١٠

[٥٠]) ضفاف أخرى : ١٥٨
[٥١]) حارس التبغ : ٣١٧
[٥٢]) في أدب المرأة : ١٠٤
[٥٣]) تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث : ٦٩ - ٧٠
[٥٤]) زن زيادى : ٣٧ – ٣٨ **" خانم نزهت الدوله البته به سواد ومعلومات نمی توانست چندان عقیده ای داشته باشد , خودش پیش معلم سرخانه چیزهایی خوانده بود"**
[٥٥]) فاصله ها : ٩**" یک روز پتوی کهنه ومندرسی که چندین وصله بر آن زده شده بود , یکی از همسایگان آن به من داد , در آن لحظه , خود را خوشبخت ترین بچه دنیا می پنداشتم"**
[٥٦]) درخت کج : ٧٢**" نازنین پدرش کارمند بازنشسته ی اداره ی بیمه بود که همیشه فکر می کرد جایی سقفی درحال فروریختن است وباید به کمک کسانی شتافت که زیر آن سقف نشسته اند"**
[٥٧]) آمده بودم بادختری چای بخورم : ٨٣ – ٨٥**"یک عالمه دختر و پسر پد پشاهنگ هی بالا وپایین می پریدند ومی دویدند ... دختره را تازه داشتم برانداز می کردم , خیلی هم مردنی بود , شلوار پیشاهنگی را به زور کمربند , چین وچروک خورده روی کمرش نگه داشته بود"**
[٥٨]) دماء الأزهار : ٥٩
[٥٩]) المصدر نفسه : ٦٢
[٦٠]) بنات ايران : ٢٤ - ٢٥
[٦١]) المصدر نفسه : ٣٢
[٦٢]) المصدر نفسه : ٨٧
[٦٣]) نون والقلم : ٢٥
[٦٤]) دماء الأزهار : ٢٠٤
[٦٥] المصدر نفسه : ٢٤٣
[٦٦]) آمده بودم بادخترم چای بخورم: ٨٥ " خانم مربی چاق وگنده همان نزدیکی ها ، روی پله های پایین ، نشسته بود تا من را دید چشم غره رفت ورو برگرداند به میدان "

المصادر المراجع

- **أشياء كنت ساكتة عنها :** آذر نفيسي , ترجمة : علي علي عبد الأمير صالح , منشورات الجمل , بغداد , بيروت , ٢٠١٤ م .
- **آمده بودم بادخترم چای بخورم :** شیوا ارسطوی ,نشر مرکز – تهران , ١٣٧٦ هـ . ش , تعداد صفحات ٩٥ .
- **ان تقرأ لوليتا في طهران :** آذر نفيسي , ترجمة : ريم قيس كبّة , منشورات الجمل , بغداد , بيروت , ط١- ٢٠١١ م .
اوراق الزمن الداعر : صلاح صلاح، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان – بيروت .
- **بنات إيران :** ناهيد رشلان , ترجمة : عمر الأيوبي , دار الكتاب العربي , بيروت , ط١- ٢٠٠٨ م .
- **تكرار يک بازی :** سحر ملک محمدي , نيکان کتاب زنجان , چاپ أول , بهار – ١٣٩٣ هـ . ش , تعداد صفحات ١٤٩ .
- **تمثلات المثقف في السرد العربي الحديث – الرواية الليبية أنموذجاً , دراسة في النقد الثقافي :** محمود محمد املودة , عالم الكتب الحديث , أربد , ط١- ٢٠١٠ م .
- **حارس التبغ :** علي بدر , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ط ٢ – ٢٠٠٩م
- **حصار العنكبوت :** كريم گطافة , دارنون للنشر , عمان – الأردن , ط ١ – ٢٠١٤ م .
- **درخت کج :** ضياء الدين وظيفة شجاع , أنتشارات طهران , روزنه , چاب أول - ١٣٩٢ هـ . ش تعداد صفحات ١١٠ .
- **درچوبي بسته است :** نصرت ماسوری , أنتشارات تهران نيلوفر, چاب أول - ١٣٨٩ هـ . ش تعداد صفحات ٩٥ .
- **دماء الأزهار :** انيتا أمير سڤاني , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر, بيروت , ط ١ – ٢٠١٠ م
- **زن زيادی :** جلال آل أحمد , منشورات أبو سفيد , نوبت چاب : أول ١٣٩٢ هـ . ش تعداد صفحات : ١٤٣ .
- **الشاهدة والزنجي :** مهدي عيسى الصقر, دار الشؤون الثقافية العامة, آفاق عربية , بغداد, ط ١ - ١٩٨٧ م .
- **سفر خاک :** إبراهيم مهدى زاده , ناشر : نشر ثالث , چاب أول ١٣٩٠ هـ . ش , تعداد صفحات : ١٠٠ .
- **طهران الضوء القاتم : أمير حسن چهلتن , ترجمة :** غسان سليم حمدان , الربيع العربي للنشر والتوزيع القاهرة , ط ٢ – مارس – ٢٠١٤ م .
- **ضفاف أخرى :** ذياب فهد الطائي , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ط ١ – ٢٠١٤م.
- **العزف في مكان صاخب :** علي خيون , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ط ١ – ١٩٨٨ م
- **عطر التفاح :** إرادة الجبوري , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ط ١ - ١٩٩٦ م .
- **فاصله ها :** الف , افسوس (پرستو افسوس , نشر واسع – مشهد , نوبت چاب , سوم ١٣٨٣ هـ . ش , تعداد صفحات ١٦٠ .
- **في أدب المرأة :** سيد محمد السيد قطب , عبد المعطي صالح , عيسى مرسي سليم , الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان , القاهرة , ط ١ - ٢٠٠٠ م .
- **القمر والأسوار :** عبد الرحمن مجيد الربيعي , دار الحرية للطباعة, الجمهورية العراقية, ١٩٧٦م.
- **لو دامت الأفياء :** ناصرة السعدون , منشورات بيت سن للكتب , مطبعة بابل , ط ١- ١٩٨٦م.
مرويات المنفى : صادق ناصر الصكر ، دراسات في الرواية العراقية ، اصدارات جريدة الصباح ، بغداد، ٢٠٠٨م.
- **المعجم الفلسفي المختصر**، ترجمة : توفيق سلوم، ، دار التقدم ، موسكو ١٩٨٦.

- **موت الأب** : أحمد خلف , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ط ١ - ٢٠٠٢ م .
- **الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)** https:// ar.wikipedia.org
- **النخلة والجيران :** غائب طعمة فرحان , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ط ٢ - ٢٠٠٧ م.
- **نون والقلم :** جلال آل أحمد , ترجمة : عبد الوهاب علوب , المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب , دولة الكويت – يونيو ١٩٩٩ م .
- **همه چيز ساده اتفاق افتاد :** محمين خدمتى , آواى منجي – قم , ط ١ – ١٣٩٠ هـ . ش عدد الصفحات ١١٠ .